استراتيجيات التواصل في خطاب الفتوى الجزائرية
الحصة التلفزيونية "فتاوى على الهواء"
أنموذجا

د. حكيمة بوقرومة قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب واللغات . جامعة المسيلة . الجزائر.

الملخص:

إن حصة "فتاوى على الهواء" حصة أسبوعية تقدمها التلفزة الجزائرية عبر قنواتها المختلفة، تعنى بشؤون المسلمين و قضاياهم الدينية و الدنيوية، و يشكل عنوان الحصة علاقة جدلية مع ما يتضمنه و يعبر عن دلالاته، و الحصة تمثيل للمكان وللتلفزيون الجزائري الذي يعتبر الفتاوى كبرنامج مهم من برامجه، و بذلك يكون تمثيلا للجماعة اللغوية و للعلاقات الاجتماعية و تمثيلا لعلاقة الفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه.

إن الحصة تلجأ إلى الكلام الشفهي الذي له مزايا كثيرة، تتمثل في مشاركة العديد من الدلالات الأخرى غير اللغوية في إفهام السامع، و هو ما يفتقر إليه النص، و من جهة أخرى تمثل الشاشة الواسطة التي تربط بين الباث و المتلقي، بالإضافة إلى دور الهاتف في عملية التواصل بين الطرفين، و هذا ما يؤدي إلى تشابك في العملية التواصلية عن طريق تبادل الأدوار، مما يحقق المقاصد التي تسعى الحصة إلى تحقيقها.

Abstract:

The weekly TV broadcast of “live fatwa” that is presented by the Algerian TV throughout its different channels focuses on the mundane and the hereafter issues of Muslims. In fact, the title of the programme has its semiotic meaning and is really representative to the Algerian TV and the linguistic group - a sign to the individual ‘s relation to his/ her

society.The Tv programme mainly depends on oral speech which may imply other nonlinguistic elements that help the audience's easy understanding at times written text lacks . On the other hand, the screen is also another medium that links the broadcaster to the receptor in addition to the role the phone has that often leads to a net by which the ideas can communicate and role exchange can occur and therefore the broadcast can fulfill its purpose .

المقال:

تتعدد آليات فهم الخطاب الديني وتتنوع بتعدد وسائل طرح هذا الخطاب وأدواته وطرق، إقناع الآخرين واكتساب المناصرين، ومن هنا قسمت البحوث المتعلقة بفهم الخطاب الديني إلى ثلاثة أقسام ، هي: (1)

1- البحث الاستنباطي للفهم ، وهو ما يزاوله العلماء باعتباره نوعا من المعرفة المتعلقة بالموضوع الخارجي، ويقصد هنا بالاستنباط معناه الفقهي لا المنطقي، وهو عبارة عن استخراج المعنى من النص الديني، كالذي يمارسه رجال العلوم الإسلامية، وتندرج ضمنه القواعد والنظريات الأصولية التي تطبق على عمليات الفهم كما يمارسها علم أصول الفقه وغيره من العلوم الدينية .

2- البحث التاريخي للفهم، يهتم بتطورات الفهم عبر السنين وما يعتري هذا الفهم من حالات الرقي و الجمود عبر التاريخ، فتجري متابعة حالاته الثابتة والمتغيرة، إذ يمكن أن تدرس الحالات المتعلقة بالقضايا الوصفية أو التقريرية الإخبارية، وكذا الحالات المتعلقة بالفهم والأحكام، ومقارنة كل ذلك قديما وحديثا .

3- البحث الطريقي للفهم، ويُعنى بمعرفة مناهج الفهم والقواعد التي يعتمد عليها والقوانين التي تتحكم فيه، كما يندرج ضمنه كل ما يستجد من قواعد للفهم، وكذا طرق التقويم والترجيح بين مناهج الفهم وأقسامه، وهو عبارة عن فلسفة الفهم، وإطلاق سمة المنهج والطريقة عليه أولى من إطلاق لفظ الفلسفة .

والفهم الديني يدخل في إطار الفهم الطريقي عندما يكون فهما كليا شموليا، أما عندما يكون جزئيا فسيندرج ضمن إطار القواعد الصغرى، كالتي يعالجها ضمن الدائرة البيانية. (2)

ودراستنا هذه تدخل في إطار الفهم الكلي الشمولي لمختلف الظواهر والمواضيع، ولهذا كان الفهم الطريقي هو الأنسب لمثل هذه الإجراءات، كونه يعتمد على التحليل الدقيق للظواهر، ويسعى إلى الترجيح بين المناهج والنظريات ، لإنتاج أنساق مهمّة في عملية فهم الخطاب الديني بصفة عامة .

ومن هنا يمكننا أن نشير إلى مستويات ثلاثة من مستويات البحث الخاصة بالبحث الطريقي، وتتمثل فيما يلي : (3)

أ)– التحليل، حيث يُرصد فيه نتاج العلماء من الفهم وتحليله من خلال إرجاعه إلى القبليات والأصول المولدة وطرق الفهم المختلفة .

ب)– ضبط المعايير الخاصة بالترجيح بين المناهج والنظريات، إذ تقتضي مهمته البحث عن الضوابط والمعايير التي يجب اتخاذها في الترجيح بين مناهج الفهم ونظرياته المتعارضة .

ج)– السعي نحو تأسيس معايير منضبطة لإنتاج نظريات وأنساق ذات كفاءة عالية للفهم.

وهذه الدراسة تركز على خطاب الفتاوى الجزائرية، وبالتحديد حصته "فتاوى على الهواء " التي تبثها التلفزة الجزائرية عبر قنواتها المختلفة، لإثبات معطياته كحقيقة موضوعيته لها مصداقيتها وتعاليها، وغرضنا من هذه الدراسة إبراز الاستراتيجيات التي يلجأ إليها أطراف العملية التواصلية في هذا الخطاب وتفعيل التواصل بين مقدمي الحصة ومتلقيها، مع الإشارة إلى المحاججة وعلاقتها بمسألة الفهم والطريقة المعتمدة في الفهم والاستدلال .

والفتوى حسب ما أورده الشيخ "أحمد حماني" في كتابه المسمى استشارات "فتاوى الشيخ أحمد حماني ، استشارات شرعية ومباحث فقهية "، والذي جمع في ثلاثة أجزاء، جزآن منه طبعا في حياته ، والجزء الثالث هو عبارة عن فتاوى جمعها من بعده

ابنه البار "الأستاذ عمر " وقدمها للطبع لصيانتها من الضياع، وفي هذا الكتاب يول الشيخ "أحمد حماني "، أن الفتوى ليست هي إخبارا بالحلال البين والحرام البين ، لكنها اجتهاد فيما ليس فيه نص، فهي من باب الاستنباط، أما من سُئل عن حكم لحم الخنزير أو الميتة فأخبر أنه حرام فليست هذه فتوى، لأنها إخبار عن حكم معلوم من الدين بالضرورة، كما أن من سأل عن حكم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فأخبر أنها من أركان الإسلام وهي واجبة على كل مسلم بالغ، فهذه ليست من الفتوى، وإنما تقع الفتوى فيما ليس فيه نص، فيستنبط المجتهد لها حكما لا بهواه، ولكن بالقياس على مافيه نص من الأشباه والنظائر مما ترجح عنده من علم، فإن لم يظهر له وجه الحكم، قال فيما سُئل عنه " لا أدري " ومن قال لا أدري علمه الله ما لا يدري، أما من أفتى بجهل فقد هلك وبرهن على أنه قد انتصب في منصب لا يستحقه، وهو المنصب الذي أشار إليه حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم – بأنه يضل نفسه ويضل غيره ، فيقول « إن الله لايقبض العلم انتزاعا ولكن يبن العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جُهالا فسُئلوا فأفتوا فضلوا وأضلوا ». (4)

وحصة " فتاوى على الهواء " حصة أسبوعية تُعنى بشؤون المسلمين وقضاياهم الدينية والدنيوية، يقدمها الدكتور "هارون بريك "، ويتولى الفتوى شيخان في كل حصة التناوب، وهم الدكتور "كمال بوزيدي "، الدكتور"عبد الحليم قابة "، الشيخ " محمد أبو عبد السلام "، الشيخ " محمد بن زعمية "، وذلك يوم الجمعة في حدود الساعة السابعة مساءً، تبث عبر القنوات الجزائرية، يتم استقبالها من داخل الوطن وخارجه .

تفتتح الحصة على الدوام بعبارة ترحيب من مقدم الحصة الذي هو بمثابة مرسل أول ومسير ومنسق، متبوعة بقبوله : « مباشرة نحن معكم من التلفزيون الجزائري في حصتكم فتاوى على الهواء »، وهي افتتاحية تجمع بين خصائص عدة، وهي العنوان المرسل، المتلقي، المقاصد، والمكان .

فالعنوان جاء على شكل مسجوع، ويدل على أن الحصة تُقدم على المباشر، وهذا ما يقصد به " فتاوى على الهواء "، ولا يخفى على أحد ما للسجع من أهمية

قصوى في استمالة المتلقى وجلب الانتباه، مما يساهم في التفاعل والتواصل مع هذا المتلقي، ومن جهة أخرى، فالمتكلم يشد بها على الدلالة والقصد، ليحدث بها وقعا تأثيريا متوازيا على سمع المتلقي، حيث ينتظر من ورائه تحقيق الاستجابة والفائدة المرجوة، وقد ارتبطت بالقصدية لإثارة انتباه المتلقي، وخاصة أنها بدأت بلفظ "حصتكم "، مما يعني أن هذه الحصة تعنى خصوصا بكم أنتم المتلقون لها والمستمعون لها، وأن مقاصدها تتوجه إليكم أنتم على وجه التحديد .

ففي أي خطاب يجب أن تكون العلاقة بين العنوان والنص علاقة جدلية، إذ بدون النص يكون العنوان وحده عاجزا عن تكوين محيطه الدلالي، وبدون العنوان يكون النص باستمرار عرضة للذوبان في نصوص أخرى، وبذلك يكون كعلامة أو أمّارة تشير إلى النص، لأنه أشبه بالهوية، أو اللافتة الإشهارية، وهو عتبة يلج منها القارئ إلى عالم النص أو الخطاب. (5)

ولهذا لا يحتاج المتلقي إلى إيضاح لمعرفة موضوع الحصة، فموضوعها متضمن في عنوانها، ويشكل علاقة جدلية مع ما يتضمنه، ويعبر عن دلالاته، وقد استمر هذا العنوان إلى يومنا هذا، لأنه معبر عما تشمله الحصة من فتاوى تفيد الجمهور المتلقي .

كما أن العبارة السابقة التي يفتتح بها المقدم حصته هي بمثابة فاتحة أو استهلال تسهم في تهيئة الجو للشروع في عملية الفتوى، وهي مكون أساسي في أي خطاب، حيث تُناط بها مهمة تقديم العمل .

كما أنها تشير إلى أهمية المكان، فالحصة تمثيل للمكان وللتلفزيون الجزائري الذي يعتبر الفتاوى كبرنامج مهم من برامجه، وبذلك يكون تمثيلا للجماعة اللغوية وللعلاقات الاجتماعية وتمثيلا لعلاقة الفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه، مما يعني إدراك الكثير من التطورات الحديثة في ميدان التواصل ، الذي يؤكد أن المتلقي ليس مجرد أداة للاستقبال، بل هو عنصر فعال يشارك المرسل عن طريق الأسئلة التي يطرحها عليه .

إن حصة "فتاوى على الهواء " تجسد ممارسة اللغة والتفاعل مع الآخرين، «فامتلاك المخاطب للغة وتأديته لها يسمح بإقامة علاقات مع الغير، ولكن دونالوقوف عند

وظيفة الإبلاغ، فباللغة يمكن المناقشة،الاستفهام،الإثبات، الإعلان، ... »[6]، فاللغة تسمح للمتكلم والمتلقي بتأدية عدة أفعال، وتسمح بعملية التواصل والتفاهم بين أطراف العملية الخطابية .

تلجأ الحصة إلى الكلام الشفهي الذي له مزايا كثيرة، تتمثل في مشاركة العديد من الدلالات الأخرى غير اللغوية في إفهام السامع، وهو ما يفتقر إليه النص، وبالتالي كان فهم النص أقل قدرا من فهم الكلام المشافه ، « و على العموم إن في الكلام المشافه يلعب الواقع دورا مضافا في تحديد معنى الجملة التي ينطق بها المتكلم، و هو عنصر مفقود في النص المكتوب، ففي الكلام المشافه قد يُفهم المعنى في جملة واحدة وبها يتحدد المراد، وهو ما لا يحصل في النص المكتوب ، حيث يساعد الواقع على فهم الجملة في الكلام المشافه، مثلما يساعد سياق الارتباط بين الجمل المكتوبة على فهم جملة منها». [7]

ومن جهة أخرى تمثل الشاشة الواسطة التي تربط بين الباث والمتلقي الذي يتواجد في أماكن مختلفة من العالم، فالشاشة فرضت شروطا للإرسال والتلقي وسهلت عملية التواصل بين أطراف العملية التواصلية، حيث أصبحت الحصة تصل إليهم مباشرة عبر جدران المنازل، كما فرضت نمطا آخر للإرسال والتلقي، إذ لم تعد الطباعة مهمة ولا الورق في مثل هذه الحالة، كما أنها تتوجه إلى كل طبقات المجتمع، المتعلم منها وغير المتعلم، كونها لا تكتفي بالحديث باللغة العربية الفصحى، بل تلجأ في كثير من الأحيان إلى الحديث بالدراجة، كما يفعل " كمال بوزيدي " في أغلب الأحيان، والحديث بالأمازيغية عند " أو عبد السلام " عندما يطلب منه أحد السائلين ذلك.

إن تقديم الحصة عن طريق الشاشة تساعدنا على معرفة هيئة المتكلم وكيفية نطقه للجملة وما يستخدمه من إيماءات وإيحاءات وإشارات تظهر على وجهه ويديه أثناء الإجابة، وغير ذلك من الأحوال التعبيرية والدلالية التي يستخدمها .

إن حصة " فتاوى على الهواء " خطاب شفهي يتوجه إلى سامع حاضر ضمن جملة من السياقات الظرفية، والعلاقة التي يتضمنها عبارة عن متكلم وسامع، والرابط الذي

يجمعهما هو رابط التبليغ المباشر، حيث يتقصد المتكلم بكل الوسائل الدلالية والسيميائية المتاحة من لغوية وغيرها، إفهام السامع مضمون كلامه.

بالإضافة إلى دور الهاتف في عملية التواصل بين الطرفين، فالأسئلة تطرح عن طريق الهاتف، وتستقبل كذلك، ثم تكون الإجابة عبر شاشة التلفزيون، ومن خلال ذلك يحدث التشابك في العملية التواصلية، حيث يمثل "هارون بريك " مقدم الحصة ومنسقها المرسل الأول، والجمهور المشاهد يتلقى الحصة، وبحركة سريعة يحيل الكلمة إلى هذا المتلقي ليطرح أسئلته، ليتحول إلى باث أو مرسيل ثاني عن طريق الأسئلة والقضايا التي يثيرها، ويتحول المرسل الأول والشيوخ المفتون إلى متلق جماعي يتلقى الأسئلة، ثم تعكس العملية ليتحول هؤلاء إلى باث أو مرسل ثالث عن طريق الأجوبة أو الفتاوى التي يقدمونها إلى الجمهور الذي يتحول مرة أخرى إلى متلق يتلقى الأجوبة والفتاوى، وهكذا تتواصل الحصة عن طريق التناوب بين أطراف العملية التواصلية، ومن خلال ذلك يمكننا أن نمثل هذه العملية بواسطة الشكل التالي :

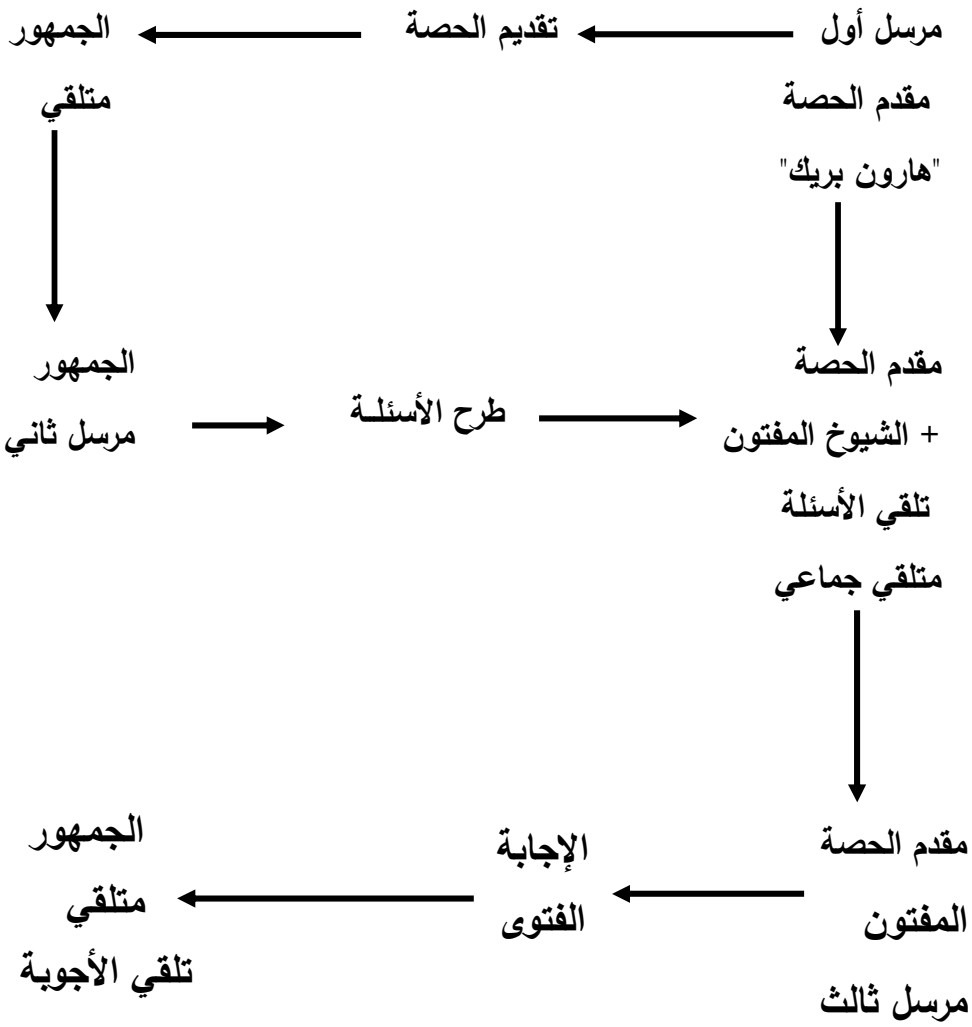

إن ثنائية (نحن) و (أنتم) التي تجسد المحور التداولي تظهر جلية في العبارة التي تُفتتح بها الحصة (نحن معكم في حصتكم) ، حيث يتشكل المرسل والمتلقي والمقام التواصلي في العملية التي يقوم بها الطرفين، والتي تشير إلى الوضعية الثقافية والدينية في المجتمع الجزائري .

وفي هذا المجال يمكننا الإشارة إلى دور المستمع (المتلقي عن طريق الاستماع)

"Auditoire" في تحريك مسار الحصة، فالمستمع من المبادئ الهامة التي ركز عليها "بيرلمان"، فما هو المستمع، هل هو ذلك الذي يستدعيه المتكلم ويعيّنه ؟ أم ذلك الذي يراه المتكلم وهو يتأهب للكلام ؟

لقد عرّفه "بيرلمان" بأنه ذلك « المجموع الذي يريد المتكلم التأثير فيهم بواسطة حجاجه »[8]، أي مجموعة الأشخاص الذين يراهم الخطيب أمامه وهو يلقي خطبته، مراعيا في ذلك أحوالهم وأقدارهم ومراتبهم، وهم يتحاورون معه، فيكون المستمع حينئذ كما يقول "بلانتان" شريك واقعي للحوار. [9]

فمقدم الحصة والشيوخ المفتون يستمعون إلى الأسئلة التي يطرحها عليهم الجمهور، ويسجلونها بالترتيب والتناوب، ثم يتولون الإجابة التي تلقى على الجمهور الذي يتحول إلى مستمع سواء كان سائلا أو مستمعا فقط .

إن الحصة تتوجه إلى مستمع حاضرا أساسا، وهذا المستمع لولاه ما كان لهذا الخطاب أن يظهر، ولا كان له جدوى ومعنى، ولتحولت وسيلة التبليغ الخطابية إلى نصية، باعتبارها تحقق الهدف من إيصال الرسالة المطلوبة إلى الطرف الآخر، وهو القارئ ، ولو لم يكن معاصرا لتلك الحصة، مما يعني أن الحصة تتوجه إلى متلق حقيقي فعلي حاضر أثناء تقديم الحصة. و الملاحظ أن الأغلبية الساحقة من المتلقين من فئة النساء، حيث تتحول الحصة في كثير من الأحيان إلى نوع من الشكاوى، فهذه تشكو زوجها الظالم، و تلك تشكو ابنها العاق، و هكذا، . . . أي أن متلقي الحصة فرض نوعا خاصا من الاستقبال الذي يخرج عن الموضوع المخصص لها، مما أدى إلى تحول الأجوبة بدورها إلى نوع من المواساة و الدعاء بهداية الضالين إلى الطريق المستقيم فتكرر عبارة: "يهديه الله"، "اصبري"، "لك الجنة".

وكون هذا الخطاب موجه إلى مخاطبين حاضرين أو سامعين معينين، فإنه يمتاز بتشكيلة مزدوجة للكلام المشافه والواقع، مما يجعله يحمل دلالات عالية للمعنى الحقيقي، حيث تشترك كل الحواس في عملية التلقي، تتلقاه الأذن مباشرة، بمساعدة العين الرائية

لا القارئة، ولهذا كان الخطاب الشفهي وبفضل ما يحمله من عناصر حية مساعدة على الفهم والتأويلات، خلافا مع النص المكتوب الذي تتعدد قراءاته وتأويلاته.

إن "حصتكم " في العبارة التي تفتتح بها الحصة، تشير إلى أن المقاصد تتوجه مباشرة إلى المتلقي لخدمته في الدارين: الدنيا والآخرة، حيث « يرتكز دور المقاصد، بوجه عام، على بلورة المعنى كما هو عند المرسل، إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده وانتخاب الاستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى»(10).

فحصة "فتاوى على الهواء" تسعى إلى التعريف بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، ونشر مبادئ وأهداف التشريع الإسلامي، وتوضيح ما يشكُل على المسلم من أمور دينه ودنياه، وعلى الرغم من كون الوقت المخصص لهذه الحصة قليل جدا (ساعة فقط)، إلا أنها أدت دورا معتبرا في هذا الشأن، عن طريق المواضيع الدينية المختلفة التي تُقدم في شكل دروس تبتدئ بها الحصة قبل البدء في طرح الأسئلة، والمتعلقة بأمور العقيدة وقضايا التوحيد، والتعريف بأركان الإسلام، مع التركيز على مواضيع أخرى تعتبر في غاية الأهمية، كطاعة الوالدين، وغير ذلك من المواضيع المهمة، وبعد ذلك طرح الأسئلة من طرف الجمهور المتلقي في أمور الشريعة والعقيدة، والإجابة عنها على شكل فتاوى، وغالبا ما تتجاوز أسئلة المستمعين هذه الأمور، من الدين إلى الدنيا، لتطرح أسئلة تخص أمور الحياة وكيفية التصرف فيها، كمسائل الزواج والطلاق والحلف به، ومسائل الميراث وحكم قيام الورثة بحقوق الله تعالى على مورثهم. فهذه سائلة سألت عن حكم تسمية ابنها بـ "خليل الله"، فرد عليها المفتي بعدم جواز هذه التسمية، لأن الله تعالى أخبر أن إبراهيم –عليه السلام– هو خليله الوحيد، و قد قدم البديل للسائلة بجواز تسمية "خليل" فقط، فالحصة تسعى إلى تقديم البديل للمتلقي في كل الأحوال.

إن هذه الفتاوى تحمل رسالة للبشر يُراد التعرف عليها لتطبيقها، حيث يعمل مقدميها على إيجاد التطابق بين الفهم وما تكون عليه حقيقة النصوص، انطلاقا من

فهم حقيقة السؤال المطروح، أي معرفة قصد صاحبه، حتى لا يحدث سوء الفهم، ولذلك يحتاج المخاطِبون إلى معايير منضبطة لتقديم الفهم المناسب للمتلقي، لاسيما عندما يكون الأمر مكتنفًا بالغموض، ولهذا نجدهم يقدمون الأدلة عند كل فتوى، وهذه الأدلة تكون من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فكما يقول "أبو حامد الغزالي: «أدلة القرآن مثل الغذاء ينفع به كل إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينفع به أحاد الناس، ويستضرّ به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينفع به الصبي، والرضيع والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا »(11).

إضافة إلى آراء العلماء في كل زمان ومكان، مع الإشارة إلى فكرة هامة وهي أن بعض المصطلحات تتغير مفاهيمها من زمن إلى آخر، فالواقع من أهم العوامل المؤثرة في الفهم، فبتغير الواقع تتغير الثقافات والعلوم والإيديولوجيات، وكل ذلك يؤثر على الفهم، فمثلا ظهر الكثير من التفاسير العلمية للقرآن الكريم بفضل تغير الواقع، كما أن الكثير من المفاهيم التي كان يفهمها القدماء بصورة معينة قد تغير فهمها اليوم، ومن ذلك ما يتعلق بالأحكام الشرعية، مثل مفهوم القوة وحكم رباط الخيل، واعتبارات توزيع الغنائم والرّق وما إلى ذلك، وكل ذلك نتج بفعل تغير الواقع .

وكذلك إيراد قصص وأخبار السابقين، للاتعاظ بها، لأن هذه القصص تعرض الغائب في معرض الحاضر، وتسهل طريق الوعظ والتأسي، وهذا كفيل بإقناع المتلقي والتأثير فيه وتلبية مطالبه و مقاصده، لأنها تستند إلى أدلة منطقية ولا تستند إلى الاعتبارات الذاتية وإسقاطاتها، فهذا سائل يسأل عن حكم التعامل مع أخته التي تمارس السحر، فتكون الإجابة بعدم جواز قطع الرحم لأي اعتبار، مع إيراد قصة مؤثرة جدا عن جزاء امراة كانت تمارس السحر، و عندما ماتت و أرادوا دفنها، لم يستطيعوا ذلك، فانصرف الجميع، إلا ابنها بقي هناك يتساءل، إلى أن خرج شيخ أبيض اللحية، فسأله ما العمل؟ فقال له: اذهب، أنا سأتولى المهمة، ولكن حذار أن تلتفت إلى الوراء، غير أن هذا الابن أبى إلا أن ينظر إلى الوراء ليرى مصير أمه، فإذا

به يحترق وجهه. فمثل هذه القصة أوردها المفتي لجمهور المتلقين، قصد الاتعاظ و التحذير من مثل هذا المصير العجيب، خوفا على هذه الأمة من الضلال.

وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى مايسمى بـ " المتلقي المسيء " الذي يعتقد أنه من الممكن أن يجد في النص كل شيء تعويلا على ما يحمله من إسقاطات ذاتية، إذ يفهم ما عنده من معانٍ دون النص[12]، فكثيرا ما يشير السائلون إلى أنهم استشاروا الناس فأفتوهم بغير علم، فكانت الفتوى تنطلق من اعتبارات شخصية ولا تستند إلى الواقع ولا إلى الأدلة، وفي هذا المجال يستند المفتون إلى ما يسمى بالحجة المضادة أو المعاكسة [13]، والتي هي إجراء خطابي يعتمد على تقديم دليل معاكس للدليل الذي قدمه هؤلاء الناس الذين يمثلون العامة، فيكون الدليل الذي يقدمه مقدمي الحصة كحجة مضادة لهؤلاء.

أما في الحالة التي يصعب فيها إيجاد الدليل، كون الفتوى تهتم بالاجتهاد فيما ليس فيه نص، وتلجأ إلى استنباط حكم من حكم، لتشابه الأمرين في صفة ما، فإن المفتي يعتمد في هذه الحالة على ما يسمى بالحجة المماثلة أو المشابهة [14]، وتكمن في حالة مشابهة الأمور لبعضها البعض ومساواتها في بعض الخصائص، فهذه القاعدة تساوي في القوة القاعدة التي تساويها القضية المشابهة لها .

ولهذا نلاحظ أن الفتاوى بصفة عامة تعتمد على ما يسمى بنظرية القياس[15]، حيث يتوقف عليها الكثير من النتاج الفقهي لدى أغلب المذاهب، و تعتمد على علاقة بيان بمتشابه.

ومن جهة أخرى تعتمد على قاعدة البساطة والاقتصاد، حيث يعد مبدأ البساطة من أهم المبادئ المعتمدة لدى العلم المعاصر، فالقضية البسيطة مرجحة على نظيرتها المعقدة بينما تتكفأ في النتائج [16]، ولذلك نجد أن العلماء تقبلوا " نظرية كوبر نيكوس" ورجحوها على سابقتها "نظرية بطليموس"، ليس لكونها أقوى احتمالا في مطابقتها للواقع الموضوعي، بل لأنها أبسط منها تركيبا. [17]

ولهذا يلجا المتكلمون في هذه الحصة إلى البساطة والاقتصاد وذكر المفيد من الكلام حتى تعم الفائدة ويصل المقصود إلى السامع بأوضح الطرق، وهكذا « فكلما كان النسق غير معقد في صياغته، ومقتصدا في طريقته الدلالية، كان مرغوبا به بالقياس إلى النسق المعقد، فالبساطة أو الاقتصاد هي إعطاء نتائج بصياغات تركيبية بسيطة »(18).

وإذا عدنا إلى حالات الفهم، فسنجد هناك أنساقا مختلفة من حيث بساطتها وتعقيدها في تعبيرها عن الخطاب الديني، الأمر الذي يجعلنا نرجح الأنساق البسيطة على المعقدة للوصول إلى نفس النتائج .

ولهذا نجد أن الحصة تعتمد على البساطة وتقديم المعلومات والإفتاء بطريقة تتمكن من الوصول إلى جلّ المتلقين الحاضرين، وتحقق المقاصد التي تسعى الحصة إلى تحقيقها، وهي تفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وإلى جانب البساطة والاقتصاد تعتمد عل التسيير، وتسهيل طريق الوصول إلى المقاصد، وكثيرا ما يتم الاستشهاد في هذا المجال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو إلى التسيير وعدم التعسير، لأن هذا الدين قبل كل شيء هو دين يسر، يراعي المصالح العامة للناس، ولهذا يلجأ المتكلمون إلى التصريح والتوجيه المباشر، متجنبين كل صيغ التلميح التي تحتاج إلى عمل ذهني يُتجاور فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد، ثم أن التلميح لا يخدم الغرض الذي تسعى الحصة إلى تحقيقه، فليس هناك ما يدعو إلى ذلك .

من خلال كل ما سبق يتضح أن حصة "فتاوى على الهواء " تتوفر على جملة من الاستراتجيات الهامة ، فهي خطاب يعتمد على المشافهة والتلقي المباشر، كونها تتوجه إلى متلق حاضر، فهي مرتبطة بلحظة إنتاجها، تحاول إيصال مقاصدها إلى المتلقي بشتى الوسائل والطرق، مع استخدام جملة من الأدلة الهامة لإقناعه، وكذا لجوئها إلى التبسيط والتسيير الذي يجعل المتلقي يقدم على هذه النصائح بكل جدية .

الهوامش:

1– ينظر: يحيى محمد، منطق فهم النص، دراسة منطقية تعنى ببحث آليات فهم النص الديني و قبلياته، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010 ، ص ص: 11-12.

2– ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

4- ينظر: أحمد حماني، فتاوى الشيخ أحمد حماني، استشارات شرعية و مباحث فقهية، ج1، منشورات قصر الكتاب الجزائر، الجزائر، د. ت، ص 7.

5– ينظر: الطاهر روابنية، "الفضاء الروائي في الجازية في الجازية و الدراويش لعبد الحميد بن هدوقة دراسة في المبنى و المعنى"، مجلة المساءلة، اتحاد الكتاب الجزائريين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، العدد الأول، 1991، ص 15.

6– ذهبية حمو الحاج، "التحليل التداولي للخطاب السياسي"، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، ص 238.

7– يحيى محمد، منطق فهم النص، دراسة منطقية تعنى ببحث آليات فهم النص الديني و قبلياته، ص 173.

8- Ch. perelman, L. olberechts, tyteca, la nouvelle rèthorique, traité de l'argumentation, édition. Puf, paris, 1985, pp 24-25.

9- Christian plantin, Essai sur l'argumentation, édition. Kimé, paris, 1990, pp : 16-18.

10– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 180.

11– أبو حامد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، تعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص81.

12– ينظر: يحيى محمد، منطق فهم النص، دراسة منطقية تعنى ببحث آليات فهم النص الديني و قبلياته، ص 90.

13– ينظر: عبد الحق بلعابد، "تداوليات الخطاب القانوني"، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، العدد 17، 2006، ص 271.

14– ينظر: المرجع نفسه، ص 271.

15– ينظر: يحيى محمد، منطق فهم النص، ص 196.

16– ينظر: فيليب فرانك، فلسفة العلم، ترجمة: علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص ص: 422-423.

17– ينظر: يحيى محمد، منطق فهم النص، ص 269.

18– م ن، ص ن.